ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Ethical Dimension in the Poetry of Salih ibn Abd al-Quddus: Selected Examples .

Sufyan A. Khalaf al-Jubouri

Tikrit University / College of Education for Humanities.

* *Corresponding author: E-mail* : sufyan.a.khalaf@tu.edu.iq

Keywords:
The moral dimension,
wisdom,
honesty and integrity,
social values,
dignity.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	3 Feb 2026
Received in revised form	25 Mar 2026
Accepted	27 Mar 2026
Final Proofreading	31 May 2026
Available online	31 May 2026

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This study begins by investigating and exploring the manifestations of moral values that have formed a central foundation in the behavior of individuals and societies throughout history. With the changing times and the diversity of civilizations, the levels of these values' expression in daily life vary. A review of the collected works of the poet Saleh reveals a rich moral legacy, encompassing a wide range of virtues in his creative texts, a fact readily apparent to the reader. The poet dedicated a significant portion of his work to establishing a set of moral values, such as honesty, integrity, and justice, expressing them within the framework of wisdom, often incorporating religious allusions and references. This imbues his poetry with a unique depth and richness, alongside the profound humanistic themes he explores. This study aimed to highlight how the poet Saleh embodied the ethical dimension in his poetry, whether through direct expression or allusion. It also focused on identifying the distinctive features of his creative experience that lent a unique and distinctive character to his poems. To achieve this objective, we adopted an integrative approach due to its comprehensiveness and ability to analyze the poetic texts in the research sample. Among the most prominent sources that contributed to enriching the study were his collected poems, along with a range of other sources and scholarly research that addressed the ethical phenomenon in poetic texts.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.33.5.2026.1

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

البعد الأخلاقي في شعر صالح بن عبد القدوس " نماذج مختارة "

سفيان عبدالواحد خلف الجبوري/ جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية.

الخلاصة:

تنطلق فحوى هذه الدراسة من خلال التقصي والبحث عن تمثّلات القيم الأخلاقية التي شكلت أساساً محورياً في سلوك الفرد والمجتمع على مرّ العصور. ومع تغيّر الأزمنة وتنوّع الحضارات، تختلف مستويات تجلّي هذه القيم في السلوك اليومي، ومن خلال استعراض ديوان الشاعر صالح يتضح للجميع انَّه ترك

إرثاً أخلاقياً زاخراً تناول فيه أصنافاً متنوعة من مكارم الأخلاق في نصوصه الإبداعية، وهو ما يمكن للقارئ أنْ يلحظه في ديوان شعره. وقد خصّص الشاعر جزءاً كبيراً من اهتمامه لترسيخ مجموعة من القيم الأخلاقية، مثل: الصدق، والأمانة، والعدل، معبّراً عنها في إطار غرض الحكمة مع بعض التضمينات والاقتباسات ذات الطابع الديني، وهذا ما منح نصه الشعري عمقاً وثراءً فريداً إلى جانب المعاني الإنسانية التي طرحها. وهدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على الطريقة التي جسّد بها الشاعر صالح البعد الأخلاقي في شعره، سواء كان ذلك بالتعبير المباشر أو التلميح. كما ركزت على تمييز ملامح خصوصية تجربته الإبداعية التي أضفت طابعاً فريداً ومميزاً على قصائده. ولتحقيق هذا الهدف، اعتمدنا المنهج التكاملي لشموليته وقدرته على تحليل النصوص الشعرية عينة البحث، ومن أبرز المصادر التي أسهمت في إثراء الدراسة ديوان شعره، إلى جانب مجموعة من المصادر والبحوث العلمية التي تناولت الظاهرة الأخلاقية في النص الشعري.

الكلمات المفتاحية: البعد الأخلاقي، الحكمة، الصدق والأمانة، القيم الاجتماعية، الكرامة.

المقدمة:

لا شكَّ أنَّ القيم والمبادئ الأخلاقية التي تُوجّه سلوك الإنسان، مثل: الصدق، والأمانة، والعدل، والاحترام، وتهدف إلى تنظيم تصرفات الفرد بما ينسجم مع ما يُعدّ خيراً، وصحيحاً في المجتمع، ويُعدّ هذا البعد أساساً في بناء شخصية متوازنة، وعلاقات إنسانية سليمة، كما يسهم في تحقيق الانسجام، والاستقرار داخل المجتمع كما جاء في عنوان بحثي، إذْ تم تقسيم خطة البحث إلى ثلاثة مباحث: جاء المبحث الأول: بعنوان الشاعر وظرف النص، والمبحث الثاني بعنوان: مفهوم القيم الأخلاقية في الأدب، أمَّا المبحث الثالث بعنوان: النص والقراءة النقدية، وأُختُتِمَ البحثُ بخاتمةٍ أجملنا فيها أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة، وأتبعناها بقائمةٍ لمجموعةٍ من المصادر والمراجع التي افدنا بها البحث .

المبحث الأول: الشاعر وظرف النص:

صالح بن عبد القدوس أبو الفضل البصري الأزدي الجذامي، وهو شاعر عباسي، كان حكيماً متكلماً يعظ الناس في البصرة في زمن راج فيه الشعر، والأدب، وكثر فيه رواته وناقلوه، وأصبح وسيلة للشهرة، والتكسب، وتنوعت أغراضه، وفنونه، وأصبح لكلِّ غرضٍ أهله، ومتذوقوه، وناقدوه، فهو زمن ثورة الشعر، وازدهاره، وقوته. ينظر: (صالح، ٢٠٠٧، صفحة ١٠)

ولا شك أنّ العديد من الشعراء في تلك الحقبة كان لهم دور كبير في تكوينِ شخصية الشاعر صالح بن عبدالقدوس، ومن هؤلاء الشعراء: ((بشار بن برد، وابي تمام، وابي نواس، لا سيما وأنّه كان من الذين

يتقنون اللغة الفارسية؛ وحِكَمِهَا، فقد قيل: إنَّ ديوانه احتوى على ألف حِكمَة من حِكَمِ الأعاجم، فلو لم يكن له معرفة، لَمَا استطاع أنْ يورد هذا الكم الهائل من حِكَمِ الفرس في شعره، وكان ما يلقى في مسجد البصرة من دروس القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والآداب واللغة وغيرها من العلوم، رافداً من الروافد التي استقى منها ما بنا شعره، وكان أعظم الأثر تكوين شخصيته وحكمته)). (صالح، صفحة ١١) . ويبدو أنَّه تلقى تعليماً دينياً وافراً ((لتصدّره مجالس الوعظ بالمساجد، واجتماع الناس حوله يستمعون لقصصه، ووعظه في أمور الدُّنيا، وقد كانت الفترة التي تصدَّر فيها للوعظ في مسجد البصرة هي فترة نُضجه العقلي، وازدياد فهمه السياسي)). (صالح، صفحة ١١) ، خاصةً وأنّه عاصر العهد الأموي قوَّته ومن ضعفه .

المبحث الثاني: مفهوم القيم الأخلاقية في الأدب

تُعَدُّ القيم الاخلاقية ركيزة اساسية في القيم الاجتماعية لكلّ مجتمع انساني، وهي من اهم مقومات السلوك العام والخاص على مستوى الفرد والمجتمع، وتشكّل تلك القيم نسباً متفاوتة في سلوكيات المجتمعات اعتمادا على البيئة، والتاريخ، والتطورات الضاغطة في ديمومة تلك القيم، او اندثارها.. ومن خلال الاحصاء، والجرد في المأثور الشعري العربي، لاسيما وأنَّ الشعر لسان حال العرب وديوانهم، فقد عبَّر الشعر تعبيراً دقيقاً مضطرداً عن ماهية تلك القيم الاخلاقية الراسخة في المجتمع العربي ازدهاراً، ونمواً عبر مديات الزمن المختلفة. ينظر: (العبادي، ٢٠١٩، صفحة ٣٣٠)

إنَّ مفهوم الأدب اشتمل على تحقيق المنفعة، وجلب الخير للإنسان، وهو ما تدعو إليه فلسفة الأخلاق، فقد عُرِّفت الأخلاق بأنَّها: قيم أو منظومة قيم تعرَّف عليها الإنسان باعتبارها جالبة للخيرِ، وطاردة للشّر، وهي لون من الوان الوعي الإنساني، ومجموعة من القيم والمبادئ التي تحرك الأشخاص، والشعوب كالعدل، والحرية، والمساواة، وهي كذلك السجايا، والطباع، والأحوال الباطنة التي تدرك بالبصيرة، والغريزة، ويمكن اعتبار الخُلق الحسن من أعمال القلوب؛ غير أنّ أعمال القلوب تختص بالقلب وحده، بينما الخلق يكون قلبياً ويكون في الظاهر. ينظر: (عباس و فالح، ٢٠١٧، صفحة ٧٣٤). فالأخلاق إذن هي: التمهيد الضروري، أو الإحساسات الطيبة، وهي وحدها مصدر السعادة الحقيقة، فالسعادة ليست متروكة للمصادفة، بل هي هبة من الله نتيجة لمجهوداتنا والإنسان وحده هو الذي يمكنه أنْ يكون سعيداً، لأنَّه هو وحده الجدير بالفضيلة. ينظر: (عباس و فالح، ٢٠١٧، صفحة ٧٣٤) والفضيلة: هي ((السعادة الحقة، فالطبائع العامية الغليظة هي وحدها التي ترى السعادة في اللذة، وتؤثر العيش في ضروب الاستمتاع المادي. وقد عرَّف بعض الفلاسفة الإنسان بأنَّه حيوان أخلاقي، فهو يشارك الحيوانات في الرغبة لإشباع حاجات الجسد، ويسعى إلى المأكل، والمأوى، والرفيق والعائلة، ولكن الإنسان يتفرّد

عن الحيوان بخاصية التأمل العقلي، فيمكنه أنْ يتجرد من شهواته، ويسيطر على أهواله، وأنْ يوجّه قراراته لتحقيق قيمه السامية)). (مندور، ١٩٩٨، صفحة ٣٩) و (عباس و فالح، ٢٠١٧، صفحة ٧٣٤)

المبحث الثالث : النص والقراءة النقدية:

يتميز شعر عبد القدوس بالبعد الأخلاقي العميق، حيث يعالج قضايا الفضيلة، والوفاء، والصبر، والكرم، وينبذ البخل، والظلم، والجهل . يعكس الشاعر من خلال نصوصه مواقف الإنسان أمام التحديات والشدائد، ويبرز دور العقل والحكمة في توجيه السلوك، كما يؤكد على أهمية الصداقة الصادقة، والوفاء بالمسؤوليات تجاه الأسرة، والمجتمع، لذا فقد اصبح الشعر عنده أداة للتهذيب الاجتماعي، وبناء الوعي القيمي أكثر من أي شيء أخر. أي بمعنى أنَّ البعد الأخلاقي في شعره هو لم يَعُدْ مجرد نصائح نظرية، بل هو توجيه عملي للإنسان نحو حياة متَّزنة قائمة على القيم العليا، والفضائل الإنسانية. وهذا ما يمكن للقارئ أنْ يلحظه في مطلع قصيدته التي تجلّت فيها الحكمة التراكمية، والتي يقول فيها من (البسيط): (عبدالقدوس، ١٩٦٧، الصفحات ١٣٨-١٣٩)

العلــم زيــن وَتَشريف لصاحبــه فَاصلَب هَديت فَنون العلم وَالأدبا

كــم سيـد بَطـل آبــاؤه نَجــبٌ كانا رؤوسا فَأَمسى بَعدَهم ذَنبَــا

وَمقرف خامـل الآبــاء ذي ادب نَـل المَعـالـــي وَالآداب وَالـرّتبـــا

للعلم كنــز وَذخــر لا تعـادلـــه نعـم القَريــن إذا مـا عاقل صَحَبَا

اضحى عَزيزا عَزيز القَدر مشتَهرا فـي كــلِّ مَنزلَــةٍ قـد حَلَّ مُحْتَجَبَا

فالشاعر هنا استهل نصه الشعري بقوله: العلمُ زين وتشريف لصاحبهِ ، لينشئ من هذا التركيب اللغوي تأسيساً دلالياً جعل من خلاله في توظيفه للألفاظ المنتقاة: (زين، تشريف، الادب، المعالي، الرتب، عزيز)، الى جانب لفظة: (العلم) بعدين متكاملين هما: البعد الجمالي في لفظة: زين ، والبعد الاجتماعي في لفظة: تشريف، فالعلم عنده هو مَنْ يجمِّلُ صاحبه من الداخل بما يُورِثَهُ من رصانة العقل، فضلاً عن تشريفه له من الخارج بما يمنحه من منزلة اجتماعية، ومن هنا تتبدى الرؤية الاخلاقية عند الشعر، فقيمة الانسان الحقيقية تكتسب بما يحمله من العلم والمعرفة، لا بالمظاهر والانتماءات الموروثة ، وهذا العلم بالنسبة له كنز لا ينفذ، ورفيق وجودي بالنسبة للإنسان، ومصدر كلّ شيء عنده، لذا فهو يمثل المحور الأساس لمنظومته الأخلاقية، وهذا ما أشار له في نصه الابداعي السابق، عندما ربطه بالكرامة الانسانية، والارتقاء الاجتماعي، وتهذيب النفس. فقيمة الانسان عنده تقاس بما يحمله من علم وأدب، لا بما يملكه من نسبٍ أو جاه، بمعنى أنَّ الرؤية الاخلاقية عند الشاعر جعلت من العلم معياراً تفاضلياً بين

الناس، وما يؤكد ذلك لجوء الشاعر الى توظيف اسلوب التكرار المعنوي على طول امتداد النص الشعر ما هو إلَّا للدلالة على مركزية الاخلاق عنده امام القيم الانسانية الاخرى، وهذا ما يخلصنا للقول: بأن النص الشعري السابق عنده قد مثّل نزعة الاصلاح الاخلاقي عند الشاعر صالح بن عبد القدوس حيث التقت عنده الحكمة بالشعر، والتربية الاخلاقية بالجمال الفني . ومن هنا تأتي القيمة التربوية العميقة لهذه الأبيات التي تصلح أن تكون منهجاً أخلاقياً لبناء المجتمع. ويطالعنا الشاعر في موضع أخر من ديوان شعره تجلّت فيه القيم الاخلاقية ايضاً، وله يقول من (السريع): (عبدالقدوس، الصفحات ١٤١-١٤٢)

لن تَبلغ الاعداء من جاهلٍ ما يَبلغ الجاهل مــن نَفســه

وَالجاهل الآمن مـا فـي غَدٍ لحفظه فـي اليَــوم أو أَمســه

وَخير مَن شاوَرت ذو خبرَة في واضح الأَمر وَفــي لبســه

لا يَقبَسـن العلم إلا امــرؤ يعــان باللــب عَـلـى قَبســه

وَإن مَــنْ أَدبتــه في الصّبا كَالعود يَسقى الماء في غرسه

فالنص الشعري هنا قائم على منظومة اخلاقية متكاملة تؤسس لإنشاء خطاب اخلاقي متماسك قائم على تفعيل مركزية العقل والعلم / شرعية المعرفة التجريبية، فضلاً عن وعي الانسان بالمسؤولية، وأهمية الخبرة التربوية والأخلاقية في الحياة، ومن خلال هذا يتضح أنَّ الشاعر في هذه الابيات لا يهدف إلى الوعظ المجرد، بل يهدف إلى بناء إنسان واعٍ، عاقل، متعلّم، قادر على خدمة نفسه ومجتمعه في الوقت نفسه، حيث تتداخل القيم الجمالية مع الفنية ليتحول النص الشعري الى خطاب قيمي يسعى الى تهذيب النفس، وتنظيم الحياة بما ينسجم مع القيم الانسانية، والدينية التي تجعل الاخلاق غاية الحياة وميزان التفاضل بين الناس. أمَّا على المستوى الداخلي للنص، فقد جاءت القصيدة مبنية على وزنٍ منتظمٍ وقافيةٍ موحدةٍ، وهذا الانتظام الفني إنْ دلَّ على شيء إنَّما يدل على أنَّ هذا الانتظام الموسيقي جاء منسجم مع الانتظام الاخلاقي داخل النص الشعري، لا سيما وأنَّ القافية جاءت منتهية بحرف الروي: الهاء، وهو من الاصوات الرخوة والمهموسة الهادئة، فهي ليست مجرد صوت ختامي بل لها وظيفتها الدلالية داخل النص الشعري، كونها توحي بالستر والتأمل والانغلاق المعرفي الهادئ، ومن هنا يمكن القول بأنَّ النسق الفكري للقصيدة جاء يدور في فلك ثلاث دوائر مترابطة فيما بينها، إذْ مثَّلت الذَّات: الشخص الجاهل وأثره على نفسه، والمجتمع: كونه صاحب المشورة والخبرة في ابداء الرأي، في حين مثّل التكوين: التربية في الطفولة. وقد يطالعنا الشاعر في نص شعري أخر قريب من هذا، كقوله من (السريع) أيضاً: (عبدالقدوس، الصفحات ١٤١-١٤٢)

حَتى تَـراه مورقــا ناضــرا بَعد الَذي قَد كانَ مـن يبسه

وَالشَيخ لا يَتـرك اخلاقــه حَتى يواري فـي ثَرى رمســه

إذا ارعوى عاد الى جَهله كَذي الضنا عادَ الى نَكســه

وَالحَمق داء ما لـه حيلَـة ترجى كَبعد النَجم عَن لَمسه

وَالق اخا الظعن بإيناسه لتـدرك الفرصَة فــي أنســه

كَاللَيث لا يَعدو عَلى قرنه الا عَلى الا مكان من فرسه

فالقارئ لهذا النص الابداعي، يلحظ أنَّ هذه الابيات الشعرية جاءت مبنية على منظومة أخلاقية متكاملة قائمة على: أهمية التربية الصالحة، وثبات الأخلاق، والحذر من الجهلِ، والحماقةِ، وضرورة الثبات على السلوك القويم، وحسن معاملة الناس، والحكمة والتعقّل، فمن هنا استطاع الشاعر أنْ يُقَدِّم من خلال نصه الشعري خبرته بالحياة، ليرسم طريقاً أخلاقياً واضحاً يقوم على التربية، والعقل، والحكمة، والرفق، وهذه قيم إنسانية سامية تسهم بشكلٍ فاعل في بناء الفرد الصالح، والمجتمع المتوازن، وتنسجم مع المبادئ الدينية، والتربوية التي تدعو إلى تهذيب النفس، وإصلاح السلوك. وبهذا يكون النص السابق قد مثّل استمراراً لنهج شعر الحكمة، الذي يقوم على الوعظ، والنصح، والإرشاد، وتهذيب السلوك، وينادي بأهمية المضمون لقيمة الصورة الفنية على اختيار المبادئ الفنية الأكثر مواتاه لرسم تلك الصورة في شعرهِ. ينظر: (الخفاجي، ٢٠٢٠، صفحة ٥). فضلاً عن معالجته قضايا تربوية، وأخلاقية تتعلّق بتأثير التربية، وثبات الطباع، وخطورة الحماقة، وأهمية حسن المعاملة، وهو بهذا يكون قد قدّم من خلال هذا النص الشعري رؤيته التربوية، والاخلاقية في هذه الحياة .

وأحيانا نجد شاعرنا في نصٍ شعريٍ أخر يذهب الى ما هو ابعد من ذلك، ليرسم لنا مفارقة أدبية مؤثرة بين مشهدين متقابلين: مشهد العرس، ومشهد الجنازة، ومن خلال هذه المفارقة يقدّم الشاعر رؤية أخلاقية عميقة للإنسان والحياة، وله يقول في ذلك من (الكامل): (عبدالقدوس، الصفحات ١٢١-١٢٢)

وإذا الجنــاة وَالعَـروس تَـلاقيـا وَرَأَيـت دَمــع نَـوائــح يَترقـرقُ

سَكتَ الَذي تَبع العَروس مبهَتا وَرَأَيت مَـنْ تَبــع الجَنــازَة يَنطــقُ

بَقي الأولى إمَّا يَقولـوا يَكذِبُـوا وَمَضى الأَولى مَا يَقولـوا يَصدقوا

فالقارئ للنص الشعري السابق يلحظ أنَّ الشاعر كشف عن جملة من القيم الأخلاقية المستخلصة، والتي تكمن في: الاعتبار بزوال الدنيا، وفي اجتماع العرس، والجنازة للتذكير بأنَّ الحياة قصيرة ومتقلبة، وكذلك

التحذير من الغرور، فالفرح لا يدوم، وعلى الإنسان أنْ يبقى متواضعاً، ثمَّ الدعوة إلى الصدق، لأنَّ الكذب صفة مرتبطة بالدنيا ومطامعها، والتأمل في الموت, فذكر الموت يهذّب النفس ويقوّم السلوك، فالبعد الأخلاقي عنده يتمثل في تقديمه لرؤيته الفلسفية الأخلاقية للحياة والتي تقوم على كون الحقيقة لا تتجلى إلَّا في لحظات الفقد والموت، وأنَّ الإنسان مُطالب بأنْ يعيش صادقاً متزناً، غير مخدوع بمظاهر الفرح الزائل، وبذلك يكون الشاعر قد جعل من صورته الشعرية وسيلة للتوجيه الأخلاقي والتذكير بالقيم الإنسانية الكبرى.

وقد نجده يطالعنا في نص شعري أخر من شعر الحكمة يهدف فيه إلى تهذيب السلوك الإنساني وتوجيهه نحو القيم الأخلاقية السَّامية، والاجتماعية المهمة في الحياة، وله يقول من (الطويل): (عبدالقدوس، صفحة ١٢٠)

رَأَيت صَغير الامر تَنمي شؤونَه فَيَكبر حَتى لا يَحد وَيَعظُمُ

وَإِنَّ عَناءاً أَن تَفهم جاهلا فَيَحسَبُ جَهلاً أَنَه منكَ افهَمُ

مَتى يَبلغ البنيان يَوماً تَمامَه إذا كنت تَبنيه وَغَيرك يَهدمُ

مَتى يفضل المَثري إذا ظَنَ انَه إذا جادَ بالشَيء القَليل سَيعدمُ

فمن هنا تتجلّى أهمية الجانب الأخلاقي عند الشاعر، إذ لا نجده ينشغل بالتعبير الذاتي أو الانفعال الوجداني بقدر ما يتجه الى بناء الخطاب الاصلاحي، كونه الأساس الذي تُبنى عليه شخصية الإنسان ومجتمعه، وبدونه تسود الفوضى ويعمُّ الجهلُ والتفكك. لذا فإنَّ أهمية الجانب الأخلاقي في النص الشعري السابق تكمن في توجيه الفرد إلى السلوك القويم القائم على الحكمة، والعقل ومعالجة المشكلات الاجتماعية الخطرة التي قد تواجهه، كالجهل الممزوج بالغرور كما في قوله: (تفهم جاهلاً) و (انَّهُ منك أفهمُ) وهو تقابل دلالي ساخر يكشف عن المفارقة النفسية في شخصية الجاهل المتعالي، وممَّا يؤكد ذلك إكثار الشاعر من توظيفه لأسلوب الاستفهام الانكاري في البيتين الثالث والرابع وهو اسلوب يرسِّخ المعنى في ذهنِ القارئ ويدفعهُ للتأملِ، كما أنَّ اعتماد الشاعر على التضاد في البيتين الثاني والثالث (جاهلاً، أفهم) و (تبنيه، يهدم) جاء لبيان مستوى الصراع عنده، بين القيم الايجابية، والسلبية في نصه الشعري، وبهذا يكون الشاعر قد نجح في بناء تجربته الشعرية، إذْ نجده يربط بين الأخلاق وصلاح الحياة، فصلاح الأخلاق يؤدي إلى صلاح الأفراد، ومن ثمّ صلاح الأمة، وبذلك يصبح الشعر عنده أداة للتهذيب الاجتماعي، ومنبراً لترسيخ المنظومة الاخلاقية التي تقوم على العقل، والخبرة، وحسن التدبير في المجتمع أكثر من أيّ شيءٍ أخر . وقد تتجلى القيم الاخلاقية لدى الشاعر بصورة الغائب في احيان اخرى، كقوله في مطلع قصيدة له من (الطويل). (عبدالقدوس، صفحة ١١٧)

مَتى يَنتَهي عَن سيء من اتى به إذا لَم يَكن منــه عَلَيــه تَنـدَمُ

وَما الرزق إلا قسمَــة بَيـن اهلــه فَلا يَعدم الأَرزاق مُثـر وَمعـدَمُ

وَلَن يَستَطيع الدَّهر تَغيير خَلقــه لَئيم وَلــنْ يَستَطيعه متكــرِّمُ

فالبعد الأخلاقي يتجلى في هذا النص الشعري من خلال رؤية شعرية تربط بين الحكمة كغرضٍ أساس، وبين تحقيق التغيير الإيجابي في سلوك الآخرين، فالشاعر يسعى إلى توجيه المتلقي نحو تحسين الذَّات، مع التركيز على أهميةِ التحلّي بالحذر، وعدم الإفراط في التفاؤل إزاء إمكانية تغيير الآخرين بسهولة، كما أنَّ تقبّل الآخر ضرورة مهمة بالنسبة للشاعر، لكن شريطة التحلي بالحصافة، والحكمة في التعامل معه، وقد صاغ الشاعر هذه الرؤية بصيغة الاستفهام الانكاري في البيت الاول بقوله: متى ينتهي ؟ ليؤكد من خلالها استبعاد صلاح من لم يستيقظ ضميره، ومن هنا يلحظ القارئ أنَّ أهمية الجانب الأخلاقي عن الشاعر تكمن في قدرته على تعزيز إدارة العلاقات الإنسانية بواقعية وفاعلية، وهذا ما يسهم في تفادي الشعور بالإحباط، أو الوقوع في شرك الخداع المرتبط بالنوايا.

إذن فالنص الشعري هنا جاء ليسلّط الضوء على الدور المحوري للقيم الأخلاقية في الحياة اليومية بوصفها مرجعاً توجيهياً للفكر، والسلوك الإنساني. فالتزام الانسان بالصدق، سواء كان ذلك مع ذاته، أو مع محيطه الخارجي، هو محل احترام للقوانين الإلهية، والاجتماعية المتجذّرة في الطبيعة البشرية، كونها إطاراً تنظيمياً لشؤون الحياة، فالدّهر على ما فيه من تقلبات يبقى عاجزاً عن تغيير الجوهر الاخلاقي للإنسان، وهذا المعنى يكشف للقارئ والمتلقي عن خبرة الشاعر بالحياة، الامر الذي دفعه أن يلجأ الى توظيف الاسلوب الخبري الذي يقرر الحقائق، ويقوم على المقابلة والتضاد في قوله: (مُثير / مُعدَم)، و (لئيم / متكرِّم) ، فضلاً عن ذلك اعتماده على الموسيقى الهادئة على طول امتداد نصه الشعري لتنسجم وطبيعة التأمل والحكمة عنده، وهذا مَا يخدم ويرسخ مبادئ أدبه الأخلاقي في ذهن القارئ، أو المتلقي، فالعلامات الدلالية في القصيدة بمكوناتها الخارجية، والداخلية التي تجاور النص، وتتعالق معه ليثير عبرها أنتباه القارئ. ينظر: (الحارثي، ٢٠٢١، صفحة ٣٢٣٥). وفي بعض الاحيان نجده يطالعنا في شعره الحكمي القائم على الوصف الأخلاقي، والاجتماعي على النحو التالي، فيقول: (عبدالقدوس، صفحة ١٣٠).

تــوَد عَـدوي ثــمَّ تَزعــم أَنَّنِــي صَديقكَ لَيسَ النوك منكَ بعازب

بَلَوتك في أَشيـاءَ منها منحتَني أَماني مجــاج وَفيــكَ مَخـالــب

وَلَيسَ أَخي من ودني رَأى عَينَه وَلكن أَخي من وَدَني في المَغايب

وَمن ماله مالي إذا كنت معدمـا وَمالي لَـه إنْ عَـضّ دَهرٌ بغـارب

فَما أَنتَ إلا كَيفَ انتَ وَمَرحَبـا وَبالبيـض رواغ كـَروغ الثَّعالــب

فالشاعر هنا اتّخذ من تجربته الاجتماعية مادة لرسم رؤيته الاخلاقية، أذ نجده يعرض قضايا: الصداقة، والوفاء، والغدر، والعداوة، عرضاً يقوم على النقد والتمييز بين القيم الاصيلة، والمظاهر الزائفة، وهذا ما يمكن للقارئ أن يلحظه وهو يفتتح نصه الشعري بقوله: (تودُّ عدوّي ثمَّ تزعَمُ أنّني صديقك) ليؤكد من خلاله وجود مفارقة اخلاقية حادَّة في انماط بشرية تتكرر في المجتمع، فمَنْ لا يفرّق بين العدو والصديق، فهو فاقد بصيرته الاخلاقية، ومن هنا تكمن أهمية البعد الأخلاقي عند الشاعر في تنميته للوعي الاجتماعي، والقدرة على الحكم الصائب على الناس، والحفاظ على علاقات سليمة قائمة على الصدق والإخلاص، وكأنَّ هذه العلاقات لا تُعرف حقيقتها إلّا بالمواقف، والاختبار كقوله:(منحتني أماني مجاج وفيك مخالب)، فالأماني المجاج بالنسبة له تمثل وعوداً فارغة لا قيمة لها، ثمَّ يبلغ النص ذروته في البيت الثالث، فالشاعر يعيد تعريف مفهوم الاخوة تعريفاً اخلاقياً، فلا يجعلها قائمة على المجاملة الظاهرة، بل على الوفاء بالغيب، ثم يضيف معياراً اخر للصداقة والصديق (التكافل والمشاركة)، ومن هنا تتجلى براعة الشاعر في قدرته على توظيف الثنائيات الضدِّية (الصديق الحقيقي والمزيف، الظاهر والباطن، الغنى والفقر، الثقة والخيانة) بوصفها وسيلة كشف عن رؤيته الأخلاقية بدقة ووضوح .

وقد نجده يطالعنا في قصيدة له أخرى تناول فيها قيماً أخلاقيةً رفيعةً، وإرشادات عملية للحياة، كونها تمثل نموذجاً للشعر الحكمي الذي يوجّه السلوك الإنساني نحو الفضيلة، والصبر والتقوى، فيقول: (عبدالقدوس، صفحة ١٢٣،١٢٧)

أدْ الأمانة والخيانة فأجتنـب وأعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

وإذا بليت بنكبة فأصبر لهـا مَـــنْ ذا رأيــت مسلما لا ينكـب

وإذا أصابك في زمانك شدة وأصابك الخطب الكريه الأصعب

فَادْعُ لِرَبّكَ إنَّهُ أدْنَـى لِمَــنْ يدعـوه مِنْ حَبْلِ الوَريـدِ وَأقْرَبُ

فالنص الشعري هنا يمثل منظومة قيمية اخلاقية متكاملة الابعاد، اتّخذ فيها الشاعر من فنه الشعري وسيلة للإرشاد العملي، وتقويم السلوك الخلقي، لا مجرد اداة للتعبير الوجداني، فلجوء الشاعر لأساليب الأمر (أدْ الامانة، والخيانة فاجتنب، واعدل، ولا تظلم) كشف عن مركزية القيم الاجتماعية في نصه الشعري، فالأمانة ليست خلقاً فردياً فحسب بل هي محل ثقة الناس بعضهم ببعض، كما أنَّ تكرار اداة الشرط (إذا) قد يوحي للقارئ او المتلقي بأنَّ الشاعر يقدّم برنامجاً عملياً لمواجهته تقلبات الحياة، أمَّا على

المستوى الايقاعي للنص فإنَّ انسجام القافية الموحدة المضمومة قد اضفى على النص نغمة مستقرة هادئة تتناسب مع المعاني الهادفة الى الاتِّزان والطمأنينة، وهذا يخلصنا الى القول: بأنَّ النص السابق قد جسّد بوضوح خصائص شعر صالح بن عبد القدوس، حيث تداخلت فيه الحكمة مع الدين من جهة، والتجربة الانسانية مع التوجيه الاخلاقي من جهة اخرى، حتى غدا شعره وكأنه وثيقة اخلاقية ذات بعد تربوي خالد. وقريب من هذا قوله من (المتقارب): (عبدالقدوس، صفحة ١٤١)

بَني عَلَيك بتَقوى الإله فَإن العَواقبَ للمتَّقي

وَإنَكَ ما تَأت مِنْ وَجهة تَجد بابَه غَير مستَغلق

عَدوكَ ذُو العَقلِ ابقى عَلَيك من الصاحبِ الجاهلِ الأخرَقِ

وَذو العَقل يَأتي جَميل الأمور وَيَعمَد لـلأَرشد الاوفَقِ

فالشاعر هنا بنى نصه الشعري على منظومة أخلاقية متكاملة، قائمة على: التقوى، والورع، والصدق، والاستقامة، واختيار الصحبة الصالحة، وتجنب الجاهلين، والاعتماد على العقل والحكمة في توجيه الإنسان للعيش في ظلِّ حياة متوازنة، وتعزيزه للفضائل التي تحقق النجاح الشخصي، والاجتماعي، بعيداً عن الأخطاء والانحرافات، فالنص الشعري هنا لم يَعُد مجرد نصائح نظرية بعيدة عن الواقع، بل يُمثل خريطة عملية للسلوك الأخلاقي القويم ، فالشعر لديه ((ليس أفكارا ومعاني فقط، بل صياغة جميلة ترتكز على التصوير)). (بلغيث و ملاحي، ٢٠١٠، صفحة ٢١) وبهذا يكون الكرم، والأخلاق، والخير النابع منه، صفة من الصفات التي تعلَّم عليها شاعرنا، وتأسست بجذوره منذ صغر سِنِّهِ، حتى غدت وكأنَّها عنصراً بارزاً ومهما من عناصر " التشكيل الفني " في نصه الشعري الذي خصَّ به القارئ. ينظر: (العذري، ٢٠١٠، صفحة ٢٢)

الخاتمة:

وفي الختام لا يسعنا إلَّا أنْ نُجمِلُ أهم النتائج التي توصلت اليها دراستنا هذه في بحثنا الموسوم بـ(البعد الأخلاقي في شعر صالح بن عبد القدوس، نماذج مختارة)، وهي كما يلي:

١. أن شعر صالح بن عبد القدوس يمثّل نموذجًا بارزًا في توظيف القيم الأخلاقية، إذ اعتمد على الحكمة والموعظة في ترسيخ مبادئ مثل الصدق، والأمانة، والعدل، والزهد.

٢. اتسمت أشعاره بالبساطة والوضوح، مما أسهم في وصول مضامينها إلى المتلقي بسهولة وتأثير.

٣. عكست تجربته الشعرية ارتباطًا وثيقًا بواقع المجتمع، ساعيًا إلى تقويم السلوك الإنساني وتعزيز الفضائل.

٤. يُعد شعره مرآة للأخلاق الإسلامية والإنسانية، ووسيلة فاعلة في نشر القيم وبناء الوعي الأخلاقي.

List of Sources and References:

1. Arkan Hussein Mutair Al-Suraifi Al-Abadi. (June 1, 2019). The System of Moral Values in Arabic Poetry: Between the Old and the New. Diyala for Humanistic Research, pp. 329-346.
2. Al-Basri Saleh bin Abdul Quddus. (1967). The Diwan. (Abdullah Al-Khatib, ed.) Baghdad: Al-Basri Publications House.
3. Thaer Al-Adhari. (2010). On the Techniques of Poetic Formation and Poetic Language. Syria: Rand Printing, Publishing and Distribution House.
4. Zainab Abdul Karim Al-Khafaji. (2020). Poetic Imagery among Blind Poets in the First and Second Abbasid Eras: Between the Tangible, the Sensible, and the Audible. Baghdad: Publishers Union.
5. Siham Salama Abbas and Samia Musfir Falih. (December 31, 2017). Moral Values in the Literary Epistles of Ibn Al-Muqaffa. College of Islamic and Arabic Studies for Girls, pp. 726-744. 6. Saleh. (2007). Wisdom in the Poetry of Saleh ibn Abd al-Quddus al-Basri (77 AH - 167 AH): A Study of Themes and Styles. (Unpublished Master's Thesis). Riyadh, Saudi Arabia: Umm al-Qura University.
6. Abd al-Razzaq Balghith and Ali Mallahi. (2010). Poetic Imagery in the Poetry of Izz al-Din Mihoubi: A Stylistic Study. (Unpublished Master's Thesis). Algeria: Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Languages, University of Bouzaréah 2.
7. Muhammad Mandour. (1998). Literature and its Schools (Volume 1). Cairo, Egypt: Dar al-Nahda.

9. Hilala bint Saad al-Harthi. (July 12, 2021). The Discourse of External Textual Thresholds in the Diwans of Muhammad Ibrahim Yaqoub. Arabic Studies, pp. 3233-3278.